

مكتبتى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

مكتبتى شيء عظيم جداً - ولست أعنى أنها كبيرة ضخمة ، وأن فى خزاناتى آلافاً مؤلفة من المطبوع والمخطوط ، فما عندي مخطوط واحد ، ولا ولوع لى بجمع هذا الضرب من الكتب ، وما يمكن أن تبلغ كتبى الآلاف بعد أن احتجت أن أبيع منها مرات ، وإنى لمجنون بالكتب ، ولكن جنونى بما فيها لا بأشكالها وألوانها على رفوفها . وقد اعتدت الأبالى أن يبقى الكتاب عندي بعد أن أقرأه أو أن يذهب ، ولم أكن كذلك ، ولكن المرء مما تعود . وعلى أنه سيان أن أحفظ بالكتاب وأن أبيع كما اشتريته ، أو أهبه ، فما الى الوصول اليه سبيل فى هذه الخزانات ، ولأهون على أن أشتري منه نسخة أخرى من أن أهدي الى موضعه وأعرف ابن اختبأ . ومتى كان هذا هكذا ، فما حرصى على كتاب يحاورنى ويهرب منى وأنا أدور بعينى على الرفوف ؟؟

وليس أُنقل على ، ولا أشق على نفسى من الإقامة فى بيت واحد زمناً طويلاً ، ولو وكل الأمر لاختيارى لاتخذت كل يوم بيتاً ، ولكن الكتب راضتني على السكون وردتني على مكروهمى ، فأنا الآن كالقمد لا أكاد أتحول ، إلا أن أحل على الانتقال حملاً ؛ ذلك أنى كلما سكنت بيتاً ، أروح أتحير للكتب أوسع الحجرات وأكثرها شمساً وهواءً ، ثم أقول دعوا الصناديق والنمرات حتى أفتحها وأخرج ما فيها وأرتبه بنفسى ، فتترك شهوراً ، تنقلب الحجرة فى خلالها مزبلة ، فيتبرم أهلى ويلحون على أن أفرغ الصناديق

فأقول : « لا بأس . موافق »

فنسألنى زوجتى : « ومتى تفعل ؟ »

فأعدها خيراً ، فتلح على ، فأؤكد لها أنى فاعل ذلك غداً

إن شاء الله

فتقول : « إن شاء الله معناها عندك أنك لن تفعل أبداً »

فأقول : « استغفرى الله يا امرأة ! إن شاء الله يعنى

إن شاء الله ، أليس كذلك ؟ »

فتقول : « ولكنى أريد تنظيف الغرفة ! ألا ترى

هذا التراب ؟ »

فأقول : « صحيح ! كثير »

لأنى أحب أن أفر بالحق وأكره المكابرة ، فهمل الشتاء

على ذلك وتقول :

« وهذه الصراصير ؟ والفييران ؟ لا . لم يمد هذا

بيتاً يسكن »

فأقول : « ألا أقول لك وأريحك ؟ »

فتقبل على مسرورة وتساألنى : « ماذا ؟ »

فأقول : « أفرغى أنت الصناديق ، ووصى الكتب على

الرفوف - على أى ترتيب - وارفضى التراب ، واقتلى الصراصير ،

وطاردى الفييران - وعلى الجملة ، نظفنى الغرفة - هيه ؟ ما قولك ؟ »

فتوافق ، وأعود من عملى فألقى المكان نظيفاً ، فلا فييران

ولا صراصير ولا تراب ، ولا صناديق ، ولكنى أحتاج أن أرجع

الى كتاب ، فأفتح خزانة بعد أخرى وأنظر الى ما تكس على

رفوفها فأرند يائساً وأصيح بزواجى :

« يا امرأة ! أين وضعت ابن الروى ؟ » مثلاً

فتقول : « عندك بالطبع »

فأسألها : « أو أئققت أنت أنك لم تضعيه فى المطبخ ؟ »

فتقول محتجة : « المطبخ ؟ كيف تقول هذا ؟ أهذا

جزائى على تمبى ؟ »

فأقول : « منذرة ، ولكنى لا أراه هنا »

فتقول : « ابحث عنه »

فأبحث - أعنى أنى أروح أخرج من الخزانة صفاً بعد

صف ، وأضع ما أخرج على الأرض هنا وههنا ، حتى تحور

قواى ، وينفد صبرى ، ويهى جلدى ، وأنظر الى ما فرشت به

الأرض فأجزع ، وأغافلها - أعنى زوجتى - وأتسلل خارجاً ،

وأرد الباب ورأى حتى لا ترى شيئاً

وأعود فى الليل ، وفى ظنى أنها نائمة ، وفى عزى أن أعيد

الكتب الى الرفوف ، فأفتح الباب برفق ، فإذا الكتب قد

وثبتت بقدرة ربك ، وصفت نفسها على الرفوف ، وتزاحمت ،

ودخلت بعضها فى بعض - خوفاً من الفييران ولا شك ! فأتفتش

الصمداء وأفرق كفى ، وأقول : « الحمد لله ! يا ما أكرمك

يارب ! » وإذا بزواجى تقول : « وآخرتها مملك ! ألا يمكن أن

تميد كتاباً الى موضعه بعد إخراجه ؟ ألا بد أن ينشف ريقى

